

أندلسيو سلا والإنجليز

محمد أبو طالب

بين سنتي 1627 و 1937 عرفت العلاقات المغربية الإنجليزية تحركات مكثفة بين «سلا الجديدة» وتطوان ولندن تميّزت بمفاوضات بين مبعوثين إنجليز والأندلسيين والقائد أبي عبد الله محمد العياشي على الخصوص . وتمّت أهم تلك المفاوضات بقيادة جون هاريسن John Harrison باسم ملك بلاده جيمس الأول James ثم تشارلز الأول Charles وكانت المواضيع المتفاوض في شأنها :

1- تسريح الأسرى الإنجليز استجابة لطلبات خاصة من أولئك أنفسهم وذويهم .

ب- ضمان تحرك السفن الإنجليزية في المياه المغربية .

ج- ضبط العلاقات التجارية مع التجار الإنجليز المقيمين في المغرب .

د- تسليم أسلحة للأندلسيين .

هـ- الحصول على موافقة هؤلاء للتحالف مع الإنجليز ضد إسبانيا .

ومما يذكر أن هاريسن قام برحلات متتالية (منها رحلات ماي 1610، ونونبر 1614، ويونيو 1615 و1618) إلى المغرب لمقابلة السلطان مولاي زيدان الذي تركه ينتظر مدة سنتين في آسفي دون استجابة في الزيارة الرابعة . ولم يعد إلا سنة 1625 في نفس المهمة، حيث فتح مفاوضات مباشرة مع أندلسيي تطوان وسلا بعد أن رافقه إليها محمد العياشي .

وأثناء الزيارة الخامسة سنة 1626 حصل هارسن على بعض الوعود من سلا عاد بها إلى بلده ليأتي في رحلة سادسة سنة 1627 بمشروع التفاوض مع جميع الأطراف . كما حمل معه عتاداً مهماً مقابل فك الأسرى . وفي تلك الأثناء أعلن الأندلسيون عن استقلالهم بعد طرد ممثل السلطان ودخلوا في التفاوض مع المبعوث الإنجليزي الذي تمكن من فكّ عدد من الأسرى . إلا أن البرلمان الإنجليزي رفض المصادقة على مشروع اتفاقية كانت قيد الدرس ، رغم حضور مبعوثين سلاويين رافقاً هارسن في تلك الرحلة . وكان سبب الرفض اعتبار أهل سلا خارجين عن طاعة السلطات الشرعية في مراكش والتي ما فتئت تنبه لندن إلى ذلك .

وكان هدف الرحلة السابعة في 1627 تلافي عراقيل مشروع اتفاقية سنة 1627 مع السلاويين .

وأثناء زيارة هارسن الثامنة والأخيرة سنة 1631 رفض السلطان الوليد استقبال مبعوث الإنجليزي بسبب تعاملهم مع الثوار من رعاياه . ولما فشل مشروع اتفاقية جديدة، استأنف الأندلسيون عملية الاستيلاء على البواخر الإنجليزية .

وفي سنة 1636 فوض البرلمان الإنجليزي للضابط إدمنند براندشو Edmund Brandshaw مهمة فك الأسرى حيث سلم خطاباً من الملك تشارلز الأول إلى السلطان محمد الشيخ الذي حاول إقناع الأندلسيين بتسريح أسرى سلا، فامتنعوا بدعوى أن اعتداءات الإنجليز لم تتوقف . وبعد أن تبين أن طائفة من الأندلسيين أنفسهم كانت وراء التمرد اتفق العياشي مع المبعوث الجديد الضابط ويليام رينبورو William Rainborow للتغلب على تلك الحركة، وذلك إثر محاصرة قصبة سلا من المرسى حيث كان أسطول يقوده هذا الضابط الذي استطاع عتق أزيد من ثلاثمائة أسير . وبعدئذ أبرمت اتفاقية بين الجانبين في ماي 1637 . كما أبرمت اتفاقية مماثلة في خريف تلك السنة مع السلطان محمد الشيخ الذي عفا عن مدبر حركة التمرد بعد أن مثل بين يديه ثم أمره بالعودة إلى سلا رفقة مبعوث إنجليزي آخر روبرت بليك Robert Blake قصد استثباب الأمن بقلعة سلا . وفي نهاية تلك السنة عُيِّنَ غايلز بين Giles Penn قنصلاً لرعاية مصالح الجالية الإنجليزية في سلا وتطوان .

وخلال العقدين المواليين تفاحشت الأوضاع وسط الأندلسيين الذين اغتنموا فرصة قيام الحرب الأهلية في إنجلترا للشروع ثانية في حجز السفن وأسر ركابها . وبعد إعدام بليك المذكور لتورطه في محاربة الملك تشارلز، قدم روبرت بليك Robert Blake آخر إلى سلا على رأس أسطول للضغط على الأندلسيين . خاصة بعد الحصول على مساعدة قيادة تطوان ، وبعد وفاة محمد العياشي .

إلى جانب هذه التحركات كانت هناك جماعة كبيرة من القراصنة الإنجليز في ميناء المعمورة (أي المهدية) بقيادة هنري مينويرينغ Henry